الشيخ الشعراوي؛ آراؤه ومواقفه السياسية

Sheikh Shaarawi; his views and political attitudes

طالب الدكتوراه/ السعيد مسعي محمد[1،2،3]، الأستاذ/ عبد الرحمان تركي[1،2]

[1] جامعة الوادي، (الجزائر)

[2] مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية، جامعة الوادي

[3] المؤلف المراسل: mesai-mohammed-said@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2019/11/20 تاريخ القبول للنشر: 2020/03/06 تاريخ النشر: 2020/09/28

❖❖❖❖❖❖❖

مراجعة المقال: اللغة العربية: د./ العزوزي حرزولي (جامعة الوادي) اللغة الإنجليزية: أ./ سارة الناصر (العراق)

ملخّص:

لم يكن الشيخ محمد متولي الشعراوي رجل دين ودعوة فحسب، بل تعدى ذلك إلى المشاركة ضمن العمل السياسي ليواكب سنن الحياة ومجراها في التنوع العملي والتعدد الوظيفي، لذا يعد أحد العلماء والدعاة البارزين في المجال السياسي، وهو أشهر من فسر القرآن الكريم في العصر الحديث. ولقد تنوعت مشاهد الخير للبلاد ومظاهر المنفعة للعباد في الفترة التي تولى فيها زمام السياسة بانشغاله آنذاك وزيراً للأوقاف، ولقد تزامنت فترة حياته ببزوغ الانتداب البريطاني لمصر حيث عايش فيها عواصف التغيير والمحن السياسية التي عرفتها البلاد، بالإضافة إلى ذلك بروز عدة أزمات سياسية والتي من بينها نكسة 1967م، وهذه الأخيرة باعتبارها أنموذج لم تمر عليه مر الكرام، بل كان له فيها موقف سياسي يدخل ضمن المشاركة الفاعلة لانتصار مصر، ومن أجل ذلك جاء موضوعنا هذا يتحدث عن موقفه السياسي جراء النكسة المذكورة آنفاً مع بيان أبرز المواقف السياسية الأخرى.

الكلمات المفتاحية: الشيخ الشعراوي؛ المواقف السياسية؛ قيم الإسلام؛ مصر.

Abstract:

Muhammad Mutawalli Al-Sharaawi was not only a Muslim scholar, a preacher or an interpreter of Qur'an; he also participated in the political action keeping pace with the different aspects of current affairs. Thus, he was the most famous interpreter of Qur'an in the modern age, as well as one of the prominent scholars and Muslims preachers who were involved in the political scene. During his tenure as Minister of Awqaf, both the country and its people witnessed the manifestations of his positive efforts. His life span coincided with the emergence of the British Mandate of Egypt, in which he experienced the storms of change and political tribulations that the country went through, in addition to the emergence of several political crises, including the setback of 1967. Sheikh Sharaawi claimed a political stance towards these issues as an active participation to help his country.

This paper addresses his position towards the setback of 1967 along with some of his other prominent political opinions.

***Key words**: Sheikh Shaarawi; political attitudes; values of Islam; Egypt.*

مقدّمة:

لقد استقطبت السياسة العديد من رجال الدين والشريعة الذين منهم الشيخ متولي الشعراوي، وهو أحد كبار العلماء والدعاة العاملين في مصر الذين برعوا بشكل كبير في المجال السياسي، باعتباره قد تقلد منصب وزير للأوقاف، حيث خاض فيها العمل على قواعد أفرزتها الشريعة الإسلامية، وأسس مبنية على تقوى من الله تعالى بغية توظيف معطيات الدين وأحكامه، وإيصاله إلى رجال الحكم والسياسة، وذلك لإخراجه في أحسن صورة أرادها الشارع الحكيم، وفي أحسن عرض وتقديم. نظرا للواقع المعيش في مصر، فقد عاصر الشيخ الشعراوي الكثير من المحن السياسية، بدءاً بالانتداب البريطاني، ووصولا إلى نكسة 1967م، لذلك فقدْ تعلّق بالسياسة، وحرص حرصا شديدا على الدفاع عن بلده كدفاعه عن دينه.

من ذلك فقد كانت نكسة 1967م، إحدى الأحداث التي هزّت مصر، والشعب المصري، وذلك لما تحمله في طياتها من المصائب والمكائد السياسية المخطط لها من قبل أعداء الإسلام، لذلك فقد تصدّى لها رجال الدين والإصلاح بغية رد الاعتبار لما طرأ فيها من ضعف التخطيط لحكومة جمال عبد الناصر.

ولا شكّ أنَّ المشاركة في العمل السياسي عند أعلام الدين والدعاة يعد إحدى الوظائف السياسية المستوحاة من الفقه السياسي الشرعي، والذي انتهجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في إدارة دولة الإسلام، وذلك أثناء جهاده وتسييره لدواليب الحكم، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ (سورة الأنفال، الآية 65) وضمن التأسّي به ﷺ انخرط رجال الدين والدعوة في العمل السياسي لوجهات متعدّدة المقاصد، فمن أولئك الدعاة الشيخ محمد متولي الشعراوي الذي عرف العمل السياسي في سن مبكّرة.

لقد تنوعت وظائف الشيخ الشعراوي في المجال السياسي، ويظهر ذلك في المحافظة على قواعد الدِّين وأحكام الإسلام من الانحراف والزيغ ضمن العمل السياسي، وإرساء فيه معالم تتماشى مع فقه الشرع في المنظومة السياسية، وتواكب حداثة العصر في التطور والازدهار مع مراعاة ضوابط النص الشرعي في تحكيم العلاقات السياسية بين الحاكم والمحكوم، لذا عمل الشعراوي في هذا المجال تحت مظلّة قيم ومبادئ الإسلام على تطهير الإدارة من الفساد والاستبداد السياسي الذي تمادى به أصحابها إلى تعدِّي الحدود المرسومة لهم بالجهل وفقدان الضمير وانعدام الوازع الديني، وعدم الانصياع للحقّ، وهذا ما يدل على مدى حرصه على إقامة دين الله ونشر دعوته، اقتداءً بسيرة النَّبي الأكرم ﷺ. حيث أنَّ التَّاريخ لم يزل قائما إلى الآن بشهادته، عرفاناً لما أنجزه من أعمال البر والإحسان في موكب السياسة.

وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح المواقف والآراء السياسية للشيخ الشعراوي، وبيان أبعاد فكره الدعوي في الحيز السياسي، وبيان كيف فسَّر العلاقة بين منهج الإسلام والمناهج الوضعية في المجال السياسي.

لقد جلب انتباهي موضوع عمل الدعاة والعلماء في المجال السياسي، وخاصة بعد اطلاعي على جانب منه، ومن ثم كان موضوعي "الشيخ الشعراوي؛ آراؤه ومواقفه السياسية". وللوصول إلى تحديد مقاصد هذا البحث، وتحقيق أهداف الدِّراسة تناولت الإشكالات الآتية:

فيما تتمثل أهمّ المواقف السياسية للشيخ الشعراوي؟ وكيف ينظر إلى الجانب السياسي؟ ما هي أهدافه وغاياته من المشاركة ضمن العمل السياسي؟ ما موقفه من الأحداث السياسية الكبرى في مصر كنكسة 1967م ومعاهدة كامب ديفيد؟ ما هي المعطيات التي انطلق منها الشيخ في المجال السياسي؟.

وقد جاء بحثي مقسماً إلى مقدمة وستة مباحث هي:

المبحث الأوَّل: نبذة عن حياة الشيخ الشعراوي.

المبحث الثَّاني: موقف الشيخ الشعراوي من الانتداب البريطاني لمصر.

المبحث الثَّالث: موقف الشيخ الشعراوي من نكسة 1967م.

المبحث الرابع: موقف الشيخ الشعراوي من معاهدة كامب ديفيد.

المبحث الخامس: موقف الشيخ الشعراوي من فصل الدين عن السياسة.

المبحث السادس: موقف الشيخ الشعراوي من حرب الخليج.

وقد أنهيته بخاتمة لخصت فيها ما توصلت إليه من نتائج.

وقد اقتضت طبيعة الدِّراسة الاستعانة بالمنهج الوصفي التَّحليلي الذي يتطلَّب جمع وتحليل المعلومات والمعارف والمفاهيم المتعلقة بالمواقف السياسية للشيخ الشعراوي في ضوء نصوص الشاهد التاريخي. وقد دعمناه بالمنهج التَّاريخي الذي يحتم علينا تتبع الأحداث والوقائع السياسية تاريخيا.

المبحث الأول

نبذة عن حياة الشيخ الشعراوي

في 15 أبريل عام 1911م ولد الشيخ محمد متولي الشعراوي بقرية دقادوس مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية بمصر، من أسرة يمتد نسبها إلى الإمام علي زين العابدين بن الحسين (أبو العينين، دون تاريخ) حفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة من عمره، وفي عام 1922م التحق بمعهد الزقازيق الابتدائي الأزهري، وأظهر نبوغا منذ الصغر في حفظه للشعر والمأثور من القول والحكم، فتحصّل على الشهادة الابتدائية الأزهرية سنة 1923م، ودخل المعهد الثانوي، ويزداد اهتمامه بالشعر والأدب. حظي الشيخ الشعراوي بمكانة خاصة بين زملائه، فاختاروه رئيساً لاتحاد الطلبة، ورئيساً لجمعية الأدباء بالزقازيق، وكان معه في ذلك الوقت محمد عبد المنعم خفاجي، والشاعر الطاهر أبو فاشا، والأستاذ خالد محمد خالد والدكتور أحمد هيكل والدكتور حسن جاد، وكانوا يعرضون عليه ما يكتبون (دار أمواج، 2012).

وفي بداية حياته ألحقه والده بالأزهر الشريف بالقاهرة، وعندها كانت نقطة تحول في حياة الشيخ الشعراوي، رغم أنه كان يودّ أن يبقى مع أخوته لزراعة الأرض، ولكن إصرار الوالد دفعه لاصطحابه إلى القاهرة، ودفع المصروفات وتجهيز المكان للسكن، فما كان منه إلا أن اشترط على والده أن يشتري له مجموعة من أمهات الكتب التراثية في اللغة وعلوم القرآن والتفاسير وكتب الحديث النبوي الشريف، بهدف تعجيزه وثنيه عن رأيه، لكن والده فطن إلى تلك الحيلة، واشترى له كل ما طلب قائلا له: أنا أعلم يا بني أنّ جميع هذه الكتب ليست مقررة عليك، ولكني آثرت شراءها لتزويدك بها كي تنهل من العلم (دار أمواج، 2012) .

وبمرور الزمن وتقدم سنه التحق الشيخ الشعراوي بكلية اللغة العربية سنة 1937م، وانفعل مثل بقية الطلاب بما يجرى وقتئذ من الأحداث الاضطرابات الأمنية في مصر، فانشغل بالحركة الوطنية والحركة الأزهرية، فثورة سنة 1919م اندلعت من الأزهر الشريف، ومن الأزهر خرجت المنشورات التي تعبر عن سخط المصريين ضد الانجليز المحتلين. ولم يكن معهد الزقازيق بعيدا عن قلعة الأزهر في القاهرة، فكان يتوجه وزملاؤه إلى الأزهر، ويلقي هناك خطبه، ما عرضه للاعتقال أكثر من مرة، وكان وقتها رئيسا لاتحاد الطلبة سنة 1934م (دار أمواج، 2012).

وقد تقلد الشيخ - رحمه الله تعالى- عدّة وظائف ومناصب نذكر منها (دار أمواج، 2012):

- مدرس بمعهد طنطا الأزهري وعمل به، ثم نقل إلى معهد الإسكندرية، ثم معهد الزقازيق.
- أُعير للعمل بالسعودية سنة 1950 م. وعمل مدرسا بكلية الشَّريعة، بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.
- وكيل لمعهد طنطا الأزهري سنة 1960 م .
- مدير للدَّعوة الإسلاميَّة بوزارة الأوقاف سنة 1961 م .
- مفتش للعلوم العربيَّة بالأزهر الشريف 1962م .
- مدير لمكتب الأمام الأكبر شيخ الأزهر حسن مأمون 1964م .
- رئيس لبعثة الأزهر في الجزائر 1966 م .
- أستاذ زائرا بجامعة الملك عبد العزيز بكلية الشَّريعة بمكة المكرمة 1970م .
- رئيس قسم الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز 1972 م .
- وزير للأوقاف و شؤون الأزهر بجمهورية مصر العربيَّة 1976 م .
- عضو بمجمع البحوث الإسلاميَّة 1980 م .
- منح وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام 1983م وعام 1988م ووسام في يوم الدَّعوة.

– اختارته رابطة العلم الإسلامي بمكة المكرمة عضوا بالهيئة التأسيسية لمؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسّنة النَّبوية، الذي تنظمه الرابطة وعهدت إليه بترشيح من يراهم من المحكومين في مختلف التخصصات الشَّرعية والعلمية، لتقويم الأبحاث الواردة على المؤتمر.

– جعلته محافظة الدقهلية شخصية المهرجان الثقافي لعام 1989م والذي تعقده كل عام لتكريم أداء أبنائها البارزين، وأعلنت المحافظة عن مسابقة لنيل جوائز تقديرية وتشجيعية، عن حياته وأعماله ودوره في الدَّعوة الإسلاميَّة محليا، ودوليا، ورصدت لها جوائز مالية ضخمة.

ولقد ترك الشيخ الشعراوي مؤلفات تزخر بها المكتبة الإسلامية، من أهمها (العقيل، 2008): المنتخب في تفسير القرآن الكريم، الفتاوى، معجزة القرآن الكريم، من فيض القرآن الكريم، نظرات في القرآن الكريم، على مائدة الفكر الإسلامي، الإسلام والفكر المعاصر، أسرار بسم الله الرحمن الرحيم، الصلاة وأركان الإسلام، هذا هو الإسلام، المرأة كما أرادها الله، لبيك اللهم لبيك، الإسلام والمرأة عقيدة ومنهج، الشورى والتشريع في الإسلام، الطريق إلى الله، الإسراء والمعراج، القضاء والقدر، الإنسان والشيطان، مئة سؤال وجواب في الفقه الإسلامي، قصيدة الباكورة، وغيرها من الكتب والمقالات والمحاضرات.

وقد فارق الحياة الدنيا يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شهر صفر من سنة 1419هـ الموافق لـ 1998/06/17م ووري جثمانه بمصر (العقيل، 2008).

المبحث الثاني

موقف الشعراوي من الانتداب البريطاني لمصر

عايشت مصر العربيَّة في القرن العشرين أزمة تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية، جراء ما جرى لها من المحن والمصائب مثل غيرها من الدّول المستعمرة، فقد لاقت ويلات عدَّة من الانتداب البريطاني، وأثَّر ذلك على أنظمتها السِّياسية والاقتصادية والأمنية، وطبقاتها الاجتماعية، نظرا لموقعها الجغرافي الاستراتيجي.

وفي ظلِّ تلك الحقبة عاش الشَّعراوي عواصف التَّغيير بحياة زاخرة بالعطاء، تسودها المواقف الدّينية والوطنية، وارتسمت في ضوئها معالم حياته، انطلاقا من قيم الإسلام ومبادئه النبيلة، فكان من براعة عقله وفكره يُجيد فهم منهج الحياة ومنطقها السَّليم في جوانبها المتعدِّدة الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده، لذلك لم تكن حياته ودعوته مقتصرة على الجانب الدِّيني فحسب، بل تعدَّت إلى المشاركة في الحياة السِّياسية، والاقتصادية، وذلك من خلال قدرته الهائلة على مخاطبة الجماهير على اختلاف مستوياتهم، حيث عمل أثناءها على مزاوجة الحياة السِّياسية بالحياة الرُّوحية من خلال توظيف معطيات الدِّين في المجال السِّياسي من أجل الوصول إلى قلب المؤمن وتحريك الإيمان لديه، ولمواكبة حركة الحياة ضمن التَّفاعل الإيجابي لروح العصر. وهذا ما نلتمسه من خلال منهجه الدَّعوي وتفسيره للقرآن الكريم، ويدلُّ هذا الأخير على أبعاد فكره في تحديد الرُّؤيا الاستراتيجية لمنهجه الدَّعوي وتفعيله في

حركة الحياة السِّياسية، للنهوض برقي الأمَّة في الفكر والمنهج، والمحافظة على أمن واستقرا ر البلاد (سناء، 1997).

إن المتصفّح في طيات سجل سيرة الشيخ الشَّعراوي وظروف الحياة السياسية آنذاك يجد أن "الرجل يكره السياسة والسبب أنه يعيش في رحابة فكر الله سبحانه وتعالى أما السياسة فدوامة صراع بين فكر البشر" (سناء، 1997)، وكرهه للسياسة ليس لذاتها بل لكي لا تبعده عن وظيفته الأساسية ألا وهي تفسيره لكتاب الله تعالى وبيان أحكامه والدعوة إلى الإسلام، غير أن مستجد الواقع المعيش في القرن العشرين كان يحتم على الدعاة والعلماء المشاركة في العمل السياسي لتصحيح الرؤى وتصويب الأخطاء، وتوظيف معطيات الدين وأحكام القرآن وتوصيل ذلك إلى الحكام والمسؤولين، لذا اتسمت حياته في بادئ أمرها بالعديد من البصمات السِّياسية، وذلك لتميّز ظروف عصره بجوّ يسوده الظُّلم والاستبداد الغربي، ومليء بالأحداث والتَّوترات لاسيما السِّياسية منها والاقتصادية والأمنية، فكان الاحتلال أو الانتداب البريطاني حينئذ هو العدوّ الأوَّل في مصر، كونه أراد السَّيطرة عليها والقضاء على معالمها وعلمائها، والشيخ الشَّعراوي منذ صغره كان منغمساً في الحياة السِّياسية آنذاك، كغيره من الشَّباب المعاصر له الذين تحروا بالكلمة والقلم لمقاومة محنة الانتداب، حيث نجده ضمن الطَّليعة الأولى لرجال الثَّورة الثَّائرين الرَّافضين، فكان - رحمه الله تعالى- يساهم في التَّصدي للانتداب بالمشاركة في المظاهرات. ومن دلائل عزمه في هذا المضمار كان يلقي الخطب الحماسية وقصائد الشِّعر الوطنية، ويدعو إلى مقاومة الانتداب وأعوانه (البنا، 2010).

ومن خلال هذا الطرح يتمثّل موقف الشيخ الشعراوي من الانتداب البريطاني لمصر، في التصدّي لكلّ أشكال الاحتلال الذي تعرفه مصر آنذاك، ونرى ذلك من خلال الخطب الحماسية التي يدعو فيها إلى مضايقة الاحتلال وذلك بالتحريض على القتال والجهاد في سبيل الله ضد أعداء الإسلام .

وتثمينا لذلك تظهر روحه الوطنية في المظاهرات الوطنية عام 1354هـ/1935م، والتي وقعت بين ثورة عام (1338هـ/1919م) وثورة عام (1372هـ/1952م) . فقد خرجت المظاهرات في كل مكان في مصر، تُندد بتصريح وزير خارجية بريطانيا " السير هور"، وقد استشهد فيها خيرة شباب مصر، ولم يكن الشَّيخ بعيداً عن هذه الأحداث بل كان مشاركاً فيها بقلبه وفكره وروحه، فلقد أقيم حفل تأبين لشهداء مصر في الزَّقازيق، ولم يتردّد لحظة في أن يندِّد بالمستعمر ويقدِّم باقة من العرفان والتَّقدير لشهداء مصر الذين قدموا أرواحهم قرباناً لحريتها (ذاكرة الأزهر الشريف)، فألقى قصيدته الشَّهيرة ومنها :

نـــداء يا بنـــي وطـــني مُجَابُ ❁❁ دمُ الشَّهداء يذكره الشـــبابُ
وقَـــدَّم روحـــه للحـــق مَهْرا ❁❁ ومنْ دمه المُـــراق بدا الخِضَابُ
وآثر أن يموت شهيد مصر ❁❁ لتحيا مصر مركزها مُهـَابُ

ومنه هكذا عاش الشيخ الشعراوي الصراع السياسي في مصر منذ صغره، فكان أحد المناضلين المشبعين بالقيم الإسلامية، والمفعمين بالروح الوطنية، والإخلاص لله ـ تعالى ـ ثم للوطن. فقد سعى إلى تحقيق ذلك الهدف ونيل تلك الغاية بالمحافظة على مقومات الهوية الدينية والوطنية للشعب المصري في

وقت تحالكت فيه الظروف وتفاوتت فيه الثقافات الدينية، واختلطت فيه موازين العدل والمساواة بين الحق والباطل.

المبحث الثالث

موقف الشيخ الشعراوي من نكسة 1967م

شهدت مصر العربية في حقبة القرن العشرين في طريقها للنمو والازدهار العديد من العقبات السياسية والتي أدت بدورها إلى اختلال موازين النظم الاجتماعية لمصر، ومن بين هذه العقبات نكسة 1967م، وهذه الأخيرة ما هي إلاَّ حرب نشبت بين إسرائيل وكل من مصر وسوريا والأردن عام 1967، انتهت باستيلاء إسرائيل على قطاع غزة والضفة الغربية وسيناء وهضبة الجولان (فادي، دون تاريخ)، واندفعت هذه الأخيرة لعدة أسباب ترتب عليها الخوض في الحرب.

وضمن هذه النكسة تعددت المواقف والآراء ووجهات عند العلماء والدعاة، حيث ساهم الشعراوي بإبداء رأيه فيها بالقول والعمل في مضمار الحركة السِّياسية والثَّورية.

وفي هذا المضمار ارتسم موقفه من نكسة 1967م من خلال موقفه تجاه جمال عبد النَّاصر الذي أسند إليه الحكم في تلك الفترة، حيث تصدى فيها الشيخ الشعراوي بالمعارضة وعدم الموالاة والانحياز له بسبب سياسته الفاشلة التي انجرّ عنها هزيمة مصر أمام إسرائيل ، وسمِّيت هذه الواقعة بالنَّكسة الأولى، وكان الشَّعراوي وقتئذ في الجزائر، وقد وصفها بقوله: "كانت عملية فتونة غبية طائشة غير محسوبة من عبد الناصر". واعتبر أنَّ الهزيمة جاءت لتصويب الأخطاء التي ارتكبها عبد الناصر ومن معه (العقيل، 2008).

يقول الفريق صلاح الدين الحديدي: "ويبدو أن هذه الأخطاء قد تحددت تماما لدى القيادة السياسية في مصر وداخل قواتها المسلحة، وشاهدي على ذلك أن حرب أكتوبر قد سارت بطريقة مختلفة تماما عن الطريقة التي سارت بها حرب 67، فكانت النتيجة – تبعا لذلك- مختلفة من جميع الوجوه" (الحديدي، دون تاريخ) .

ومن هنا ندرك موقفه تجاه جمال عبد النَّاصر، حيث أنَّه لم يوافقه على بعض السِّياسات الحادة والمتذبذبة، ويتَّضح موقفه بوضوح من خلال كلامه في حوار صحفي، حيث يقول: "يوم نصر 6 أكتوبر 1973م كنت في السَّعودية وفي مكة المكرمة، استقبلت النَّكستين وأنا في الجزائر كانت نكسة، وأنا في السَّعودية كانت ردّ اعتبار للنكسة، لكن من العجيب أنني استقبلتهما معا استقبالا واحدا، هذا الاستقبال أنني انفعلت فسجدت حينما علمت بالنكسة، وحينما علمت بانتصارنا سجدت أيضا، ولكن هناك فارق بين دوافع السجدتين، أما دوافع السجدة الأولى، فقد نُقدت ممن حضرها وأولهم ولدي، كيف تسجد لله وهذا علامة الشكر من نكسة أصابتنا؟" (Mohamed، 2010). وبرَّر الشَّعراوي سجدته بقوله: "قلت يا بني لن يتسع ظنك إلى ما بيني وبين ربي، لأنَّني فرحت أنَّنا لم ننتصر ونحن في أحضان الشُّيوعية، لأنَّنا لو نصرنا ونحن في أحضان الشُّيوعية لأُصبنا بفتنة في ديننا فربنا نزَّهنا. والثَّانية سجدت لأنَّنا انتصرنا ونحن بعيدين عن الشُّيوعية" (Mohamed، 2010).

وفي هذا الموقف تتَّضح دلالة المنهج الديني ومعالم التفكير السياسي الإسلامي عند الشيخ الشَّعراوي في تعليم النَّاس من حكام وضباط ومسؤولين أحكام التَّلقي للأمر الإلهي في السَّراء والضَّراء، وكيف يواجهون المحن والمواقف الصَّعبة التي تعتري الإنسان ويتعرض لها في حياته، ولا عجبا لذلك فإن وجود الإنسان في هذا الكون والحياة مبنى على الامتحان والاختبار بالدليل والشواهد القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾(سورة الإنسان الآية 2).

ضمن هذا القول نرى عبقرية الشَّعراوي في توظيف معطيات الدِّين ومفهومه، والدَّعوة إليه في تحكيم حركة الحياة السياسية وفلسفتها في شتَّى ظروف منحى الواقع الإنساني وألاَّ نجردها عن ضوابط الشرع، ليذوق الفرد المسلم حلاوة الإيمان جراء اتباع مسلك من انتهج فقه الحياة للنَّاس، وهذا ما نلاحظه من كلامه في التَّفسير في ترسيخ مبدأ الإيمان في النُّفوس والقلوب.

ومثال ذلك نلتمس قبسًا في رحاب تفسيره للآية: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (سورة البقرة الآية 285)، يقول الشعراوي: "يقول الحق: {وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} إذن السماع هو بلوغ الدعوة والطاعة هي انفعال بالمطلوب، وأن يمتثل المؤمن أمراً ويمتثل المؤمن نهياً في كل أمر يتعلق بحركة الكون. فالذين يريدون أن يعزلوا الدين عن حركة الحياة يقولون: إن الدين يهتم بالعبادات كالصلاة والصوم والزكاة والحج. وبعد ذلك يحاولون عزل حركة الحياة عن الدين. لهؤلاء نقول: أنتم تتكلمون عما بلغكم من دين لم يجئ لينظم حركة الحياة، وإنما جاء ليعطي الجرعة المفقودة عند اليهود وهي الجرعة الروحية، لكن الدين الإسلامي جاء خاتماً للأديان منظماً لحركة الحياة، فكل أمر في الحياة وكل حركة فيها داخلة في حدود الطاعة. ونحن حين نقرأ القرآن الكريم، نجد القول الحكيم: {يا أيها الذين آمنوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الجمعة فاسعوا إلى ذِكْرِ الله وَذَرُواْ البيع ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} (سورة الجمعة الآية:9) إذن الحق سبحانه يأمر المؤمنين ويخرجهم من حركة من حركات الحياة إلى حركة أخرى، فهو لم يأخذهم من فراغ، إنما ناداهم لإعلان الولاء الجماعي، وهو إعلان من كل مؤمن بالعبودية لله أمام بقية المخلوقات. وبعد أن يقضي المؤمنون الصلاة ماذا يقول لهم الحق سبحانه؟ يقول لهم: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصلاة فانتشروا فِي الأرض وابتغوا مِن فَضْلِ الله واذكروا الله كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (سورة الجمعة الآية: 10) إذن فالانتشار في الأرض هو حركة في الحياة، تماماً كما كان النداء إلى السعي لذكر الله. وهكذا تكون كل حركة في الحياة داخلة في إطار الطاعة، إذن «سمعنا وأطعنا» أي سمعنا كل المنهج، ولكن نحن حين نسمع المنهج، وحين نطيع فهل لنا قدرة على أن نطيع كل المنهج أو أن لنا هفوات؟. ولأن أحداً لن يتم كل الطاعة ولنا هفوات جاء قوله الحق: {غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المصير} فالغاية والنهاية كلها عائدة إليك، وأنت الإله الحق، لذلك فنحن العباد نطلب منك المغفرَة حتى نلقاك، ونحن آمنون على أن رحمتك سبقت غضبك" (الشعراوي، تفسير الشعراوي، 1422).

وفي ترسيخ هذا الفكر والمنطق، فقد أُستُجْوِب يوما عن الدور الذي تضطلع به الحكومات فأجاب بقوله: "يجب على الحكومات إعلان الإسلام منهجاً لحكمها وذلك بأن تأخذ الأمور المجمع عليها والتي لا

خلاف فيها وتتنحى عن الأمور المختلف فيها. الحكومة مطالبة بأنْ تطبق منطق الإسلام. إذا كانت الحكومة قد استطاعت السيطرة على أمتها بالمحافظة على نظام ارتضته ولو كان بشرياً فمن باب أول يمكنها تطبيق الإسلام منهجاً في أمتها" (سناء، 1997)

ومنه فالشيخ الشعراوي تجاه هذه النكسة انطلق من مبادئ وقيم الإسلام، والرجوع إلى منهج الإسلام لتلقين درس الفقه الجهادي والثوري ضد الأعداء، لذلك أرجع الشيخ الشعراوي هذه النكسة إلى أمرين: أولاهما سياسة جمال عبد الناصر المتذبذبة والفاشلة التي أدّت إلى ضعف القوة المصرية في هذه الحرب. وثانيهما عدم تقيّدنا بالشرع الحنيف في استقبال المحن السياسية.

المبحث الرابع

موقف الشيخ الشعراوي من معاهدة كامب ديفيد

اتفاقية كامب ديفيد هي إحدى معاهدات السلام بين مصر وإسرائيل، حيث وُقّعت بين الرئيس المصري أنور السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناجم بيغن في 18 /1978/09م (محمد علي، 2001) جراء تأزم الأوضاع وانهيار أركان البلدين، فكان مرماها انتهاء الحرب والمشاكل العالقة بين الطرفين لتوفير أجواء أخوية مليئة بالود وعناصر المحبة بينهما.

لقد حظي الشعراوي بمكانة كبيرة ومرموقة بين الناس، بسبب شدّة علاقته بكتاب الله ـ عز وجل ـ فهْما وتدريسا، كما أنه كان يتميز بشخصية شعبوية استطاع من خلالها تقريب القرآن وحكاياته المؤثرة من العامة واقترب من أوساط بعيدة عن التديّن كالوسط الفني (رشا، 2018). وفي ذلك لاحظ الغرب وبعض أعداء الإسلام ظاهرة تجمع الناس والتفافهم حوله والاستماع إلى أحاديثه وتفسيره، فأخذوا يحذرون منه . فقال "بيجن" في إسرائيل وعلى مرأى ومسمع من الناس: (إن أحاديث الشيخ الشعراوي تعطل مسيرة السلام) (يماني) .

لم يكن الشيخ الشعراوي طوال حياته يحنّ إلى اليهود ولا إلى محبتهم، فكانت نظرته تجاههم نظرة عدائية لله وفي الله تعالى، لأنه أدرك بقراءته الراشدة في صفحات التاريخ مكائدهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين، ورغم أن إسرائيل استعانت بحديث الشيخ الشعراوي عن مكبرات الصوت، إلاَّ أنها كانت تحاربه بشدّة فيما سبق، وطلبت إسكاته. ففي الوقت الذي فاجأ الرئيس الراحل "محمد أنور السادات" العالم بزيارته إلى القدس، عام 1977م، من أجل بدء عهد جديد في مراحل الصراع العربي الإسرائيلي من خلال "مبادرة السلام"، انتفض الشيخ الشعراوي منادياً بأعلى صوته: من يصنع مبادرة مع اليهود فليصنع مبادرة مع الله (سارة، 2019) .

وفي خضم هذه المعطيات جاء في كتاب (انتظار المعجزة) لأنيس منصور: "أرسل مناحم بيجين خطابا طويلا إلى الرَّئيس السَّادات يشكو من أحاديث الشَّيخ متولي الشَّعراوي. وجاء في إحدى الرَّسائل أنَّه يهاجم اليهود لا في إسرائيل، وإنَّما في كل العالم، مما يؤدي إلى نشر كراهية اليهود، وتهديد السَّلام بين البلدين. وفي رسالة أخرى تضايق منها الرئيس السَّادات. فكلام بيجين معناه أنَّه قد ضاق بما يقوله الشَّعراوي، ولابد أن يجد الرئيس حلاً أوحدًا لذلك. وطلب مِنّي الرَّئيس أنْ أشاهد الأحاديث الأخيرة للشَّيخ

الشَّعراوي. وعدت للرَّئيس أبلغه أنَّها عادية، فالشَّعراوي أحد علماء البلاغة القرآنية، ولم يذهب بعيدا في تفسير القرآن" (أنيس منصور، دون تاريخ).

وفي ظل تلك الأحداث "طالب بعض الإسرائيليين علي لسان وزير التعليم الإسرائيلي سابقاً "السيد هامير" الذي قال: إنه لا أمل في أن يتحقق السلام بين مصر وإسرائيل إلا إذا حذف المصريون الآيات القرآنية التي تهاجم اليهود. في ذلك الوقت أقسم الشيخ الشعراوي بالله أنه لن يكف عن كلامه ودعوته فيقول: جرائد أمريكا كتبت: اسكتوا هذا الرجل. وإسرائيل هي الأخرى وقفت وقالت: "ما فيش تطبيع معكم إلا لما تسكتوا الشيخ الشعراوي، فرد الإمام قائلا:" هما عايزني اسكت.. والله ماني ساكت إلا لما يسكتوني"، ونحن لا نستطيع أن نجامل إسرائيل علي حساب الله تعالى. والتاريخ فكل التاريخ يمكن أن يزور أو يزيف، إلا أن هذه الأحداث التي توثقها آيات الكتاب الكريم، لا أحد يستطيع أن يغيره أو يحرفه." (سارة، 2019) .

وتثميناً لذلك يقول أنيس منصور: "وتلقيت من د. بطرس غالي وزير الدّولة للشؤون الخارجية نص الخطاب الذي ألقاه وزير التَّعليم الإسرائيلي. وفي الخطاب يقول: إنَّه لن يتحقق السَّلام إلاَّ إذا حذفنا من القرآن الكريم الآيات التي تتهجَّم على اليهود. فأَرْسَلني الرَّئيس السَّادات لكي أقابل بيجين وأقول له: إمَّا أنْ تتوقَّف عن اتهامك للشَّعراوي، وإمَّا أنْ ننشر خطاب وزير التَّعليم على أوسع نطاق ونوقظ الكراهية النَّائمة عند ملايين المسلمين! وقرَّر بيجين أنْ يكف عن مواجهة الشَّيخ الشَّعراوي، وأنْ يخرس وزير التَّعليم في إسرائيل." (أنيس منصور، دون تاريخ) .

وفي ضوء التعدد الوظيفي استحق الشيخ الشعراوي أن يكون مشرفاً عن إدارة شؤون الأزهر في جانب الحكومة، فتمَّ تعيينه وزيرا للأوقاف ووزير دولة لشؤون الأزهر في الوزارة التي ترأسها ممدوح سالم. وكان ذلك عام 1976م، ولما تقدَّم به العمر وتفرغ للعمل الدعوي وخدمة الإسلام عندها منح وسام الاستحقاق المصري من الدرجة الأولى من الرئيس السادات، ورغم هذا كله فقد أسند إليه مرة أخرى عمل وزير للأوقاف، حيث تم ذلك التعيين في العام التالي، في يوم 26 أكتوبر 1977م، وتزامنت هذه مرحلة من الحكم بحكم الرئيس أنور السادات (1970-1981م) لمصر، وكانت تلك فترة يعتريها الصخب لأسباب معروفة، فقد شهدت انفتاحا اقتصاديا وتحولا اجتماعيا وسياسيا وغير ذلك، ولكن هذه التحولات لم تكن من ناحية التأثير القومي والديني في حجم قرارات الرئيس بزيارة إسرائيل وإلقاء خطابه الشهير في الكنيست وتوقيع اتفاقية سلام كامب ديفيد مع إسرائيل، والتي أقامت عليه وعلى مصر العالم العربي وأقعدته (علي حيدر، 2011).

لقد تعدّدت وجهات النظر والمواقف السياسية عند الشيخ الشعراوي تجاه القضايا التي مست العالم الإسلامي، حتى أن الناظر في أطوار حياته لاسيما من الناحية السياسية يجد أنه "على وجه التحديد، كان واحداً من بين الشيوخ الأكثر جدلية لانضوائه تحت عباءة السلاطين، وتحديداً الرئيس المصري الراحل أنور السادات؛ إذ شدّ على يده حين أقبل على معاهدة كامب ديفيد، مستشهداً بالآية ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ (رشا، 2018) .

وتبيانا لموقفه من هذه الاتفاقية فقد تمكنت الصحف الإخبارية في وقته من تدوين صوته عبر صفاتها، ومن هذه الصحف نجد جريدة القبس، حيث أخذت هذه الأخيرة وقتئذ من إجراء مقابلة صحفية معه يستجوب فيها الشعراوي عن رأيه في اتفاقية السلام، وعن الفتوى التي تبيح للنظام السياسي القائم بالجنوح نحو السلم، وهل مازال الشيخ يعتقد أن السلام مع إسرائيل على طريقة كامب ديفيد قرار سليم؟ فأجاب جوابا قويا خاليا من التردد: "نعم ما زلت أقرّ، لأننا لم ندخل مسألة فلسطين على أساس من الدين فكيف تطلبون أن أخرج منها على أساس من الدين، الأساس الذي دخلنا به فكر بشر لبشر، والأساس الذي خرجنا منه فكر بشر لبشر. فمن جعل فكر البشر في الدول الرافضة أولى من فكر الدول القابلة"، أي الرافضة أو القابلة للسلام مع إسرائيل (علي حيدر، 2011) .

ثم أضاف: "أنا الذي ادفع الثمن، أنا الذي لا يوجد عندي بيت إلا وفيه ضحايا وفيه دم، لما هؤلاء – يقصد بقية العرب – لم يعملوا أي شيء، فالذي عليه التعب هو الذي يعمل هكذا حتى يحمي نفسه..!! ثم أنها مسألة سياسية، والدولة التي ندافع عنها، أول منهج فيها يقول إنها دولة علمانية، وما دمتم دخلتم بمنهج البشر دعوا كل بشر يفكر في أن يخرج.. والناس التي تهول المسألة ماذا صنعوا؟ ماذا صنع الرافضون من يوم توقيع الاتفاقية إلى يومنا هذا؟.. لا يمكن أن ينجحوا بعمل إلا إذا كانت مصر فيه.. فمصر التي ضحت بهذه الضحايا كان يجب على الدول الأخرى أن تضحي بمالها كما ضحت مصر بأبنائها". وسألته القبس: ولكن الدول التي لديها الأموال ضحت وساعدت مصر في محنتها! فأجاب الشيخ: "مال يُؤدي للنفقة، يؤدى ما يقضيش، والآن مصر ما عادت تأخذ فوجهوها أنتم ضد عدوكم.. دع عنك كلام المنابر والخطب". (1987/7/26). هل ربح العالم العربي والفلسطينيون كثيرا برفض مسايرة الرئيس السادات في سياساته بعد حرب أكتوبر 1973؟ هل كانوا آنذاك، على الصعيد العربي والعالم والفلسطيني الخاص، أن يحققوا يومذاك ما لن يستطيعوا تحقيقه الآن وفي المستقبل المنظور؟ هذه قضايا شائكة لا تزال مفتوحة للحوار والجدل (علي حيدر، 2011) .

ومن جهة أخرى، فقد أجرى محمود فوزي مقابلة معه وسأله ذات مرة بقوله:" لقد باركت الصلح مع اليهود. فما هي الأسباب التي استندت عليها في هذا؟" فأجاب الشيخ: "السبب الرئيسي في ذلك أننا منذ عام 1948 غرقى، وهناك من يتفرج علينا فقط، فلم نتقدم خطوة واحدة إلى الأمام، بل على العكس، كل عام الأمور تتدهور أكثر!!" والشيخ في جوابه هذا يؤكد مرة أخرى على تأثيرات التعبئة والمجهود الحربي في حياة الشعب المصري بينما الآخرون يتفرجون. وكان لابد من حسم الوضع (علي حيدر، 2011).

وفي الموضوع ذاته سأله فوزي مرة أخرى: "عندما سافر السادات" إلى القدس، ناديت موجهاً كلامك بأعلى صوتك: "من يصنع مبادرة مع اليهود، فعليه أن يبادر بصنع مبادرة مع الله".. فكان جواب الشيخ: "كنت أقول: انتم تصنعون مبادرة من اجل أن تتصالحوا مع البشر، فلماذا لم تصنعوا مبادرة وتتصالحوا مع الله رب البشر؟" (علي حيدر، 2011).

فقد رأى الشيخ أنّ منْ أراد المبادرة في السلام مع من يكون من البشر، فعليه أن يُتقن صنع المبادرة مع من خلق البشر أولا، وذلك بالرجوع إلى أحكامه الشرعية وفقه الاستقامة على سبيله، ثم

نتصالح مع البشر ثانياً وفق ضوابط قوانين سنن الحياة بلا ظلم ولا استبداد ولا إفراط ولا تفريط، وعليه يتّضح موقفه من معاهدة كامب ديفيد في أنّ مبادرة السلام بين البلدين لا تكون حتى يخضع كل منهما على وجه التحديد إلى ضوابط الشرع والالتزام به، وأنْ تكون المبادرة أولا بإصلاح العلاقة بين العبد وربه، وأن ينصاع الظالم رغم ظلمه إلى الحق أيا كان أمره والتحلي بالوازع الديني والأخلاقي.

المبحث الخامس

موقف الشيخ الشعراوي من فصل الدين عن السياسة

لقد كان للشيخ الشعراوي تجاه هذه المسألة موقفاً معارضا، ورأياً مخالفا، حيث يرى فيها تعاسة لنظام الحياة السياسية واختلالا وفسادا في الحكم انطلاقا من قوله تعالى: **(إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)** (سورة المائدة الآية 44).

ويتعين موقفه بدقّة ووضوح من هذه المسألة، من خلال إجابته عن سؤال مفاده: "قد يتساءل المرء ما الذي يجعلني أثق في أي عمل حكومي؟ فأجاب بقوله: "الثقة تتبدَّى بمجرّد أن تعهد الحكومة بكل شيء للإسلام. بمعنى آخر أن تأخذ في حكمها بكل الأمور المتفق عليها. وبعد ذلك لا مانع في الأمور المختلف فيها أن تأخذ بوجهات نظر أخرى تساير نظام الحكم. أما ما يزعزع الثقة فهو معاداة الحكومة للأمور المتفق عليها وحينئذ تسلب منها الثقة وساعتها أتساءل؟ من الذي يحكم؟ إن الفيصل بيني وبين الحكومة هو أن تحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى. هناك مسائل معلومة من الدين بالضرورة ومعلومة لدى الجميع ولا يختلف أحد فيها وهذه هي التي أطالب الحكومة فيها بتطبيق منهج الله. وهناك مسائل أخرى معرَّضة لأن يحدث فيها خلاف في وجهات النظر ولا بأس في هذا. وهنا أتساءل هل أخذت الحكومة بما هو معلوم من الدين بالضرورة ومتفق عليه بلا جدال. وأن الفجوة التي نشأت بيني وبينها بعد ذلك هي في المسائل المُعرَّضة لأن يكون فيها خلاف؟ أم أن الفجوة بيني وبين الحكومة قد نشأت في الكل؟ فإذا كان الخلاف حول الكل دلَّل على أن الدولة غير جادة وغير راغبة في الأخذ بمنهج الإسلام" (سناء، 1997) .

ومن أجل ذلك كان له موقف حاسم تجاه هذه القضية؛ لأنَّه يعي جراء ذلك الخلل في نظام الحياة الاجتماعية، حيث يقول: "أنَّ الحق حين خلق الخلق، وضع لهم المنهج الذي يضمن لهم السَّلامة والأمن في كل أطوار هذه الحياة، فإنْ رأيت خللاً أو اضطراباً في الكون، أو رأيت خوفاً أو قلقاً فاعلم أنَّ منهجاً من مناهج الإسلام قد عُطِّل. والحق سبحانه وتعالى حينما يأمرنا أنْ ندخل في السّلم كافَّة فهو سبحانه يحذِّرنا أنَّنا إنْ زللنا عن المنهج فإنَّ الله عزيز حكيم فلا يغلبه أحد، ولا يقدر عليه أحد، فهو القادر القوي الذي يُجري كل شيء بحكمة، فلا تظنوا أنَّكم بذلك تسيئون إلى الله بالزَّلل عن منهجه، وإنَّما تسيئون إلى أنفسكم وإلى أبناء جنسكم؛ لأنَّ الله لا يُغلب" (محمد متولي، تفسير الشعراوي، دون تاريخ) .

ومن المعلوم أنَّ إشكالية عزل أيَّة حركة مادية في الحياة الإنسانية عن القانون الإلهي الرَّشيد، ينجر عنه خلل في النِّظام الكوني واختلال في توازنه، ما يؤدِّي إلى إتلاف أحد مكوناته، وبذلك أصبح من

اللامعقول الاستناد عليه. ومن أجل تحقيق ذلك التَّوازن بين المادة والرّوح في الخلقِ والمحافظة على سلامته، اقتضت حكمته -سبحانه وتعالى- تعميم مفاهيم الدِّين في جزئيات كل شيء من حركة الحياة؛ لأنَّ الإسلام هو الحافظ الأمين لمقوَّمات الأمم في الحياة.

ولما أراد خصوم الإسلام الانحياز والتَّمرد عن منهجه والتَّحرر من قيود الدِّين، وتشريعاته -التي تضمن للإنسان الحق والعدل- وترك أحكامه بدعوى اللِّحاق بركب المستقبل (حامد، 1422) أخذوا بانعزال السُّلطة الرُّوحية الدّينية -دون أي اعتبار- عن السُّلطة السِّياسية، قام به رجال من نخبة طبقة الدّول العلمانية ذات التَّيار الفكري السِّياسي في أوروبا، من أجل تقويض السُّلطة الدّينية وتحديد حيّز عمله وتضييقه (حامد قوسي، 2012).

ويمكن باختصار تلخيص رأي الشيخ الشعراوي في مسألة فصل الدِّين عن السَّياسة في قوله -رحمه الله تعالى-: "أنَّ الإسلام إنَّما جاء به الحق سبحانه وتعالى لينظِّم حركة الحياة كلّها، وأنَّ الذين يحاولون أنْ يقصروا الإسلام على الشَّعائر المعروفة والأركان الخمسة، يريدون أنْ يعزلوا الإسلام عن حركة الحياة لصالحٍ لهم، ويريدون أنْ يجعلوا من الإسلام مسيحيةً أخرى تنعزل في المساجد ولا صلة لها بحركة الحياة، حتى يضمن المفسدون في الأرض أنْ يفسدوا فيها ما شاءت لهم أهواءهم" (الشعراوي م.، رأي الشيخ الشعراوي في فصل الدين عن السياسة، 2012). وهذا عملا بمقتضى الأثر الذي خلّفه لنا سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ حين قال: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، وإذا أردنا العزة بغيره أذلنا الله" (العسيري، موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السَّلام إلى عصرنا الحاضر 1417هـ/96-97م، 1996) لذا كان الشيخ الشَّعراوي في منهجه الدَّعوي حريصاً على سيادة الدِّين في كامل منحى الحياة السِّياسية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك تصديقاً لقوله: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران الآية 85)، وقوله تعالى: ﴿**وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (سورة المائدة الآية 47).

ومنه تُعدُّ مسألة فصل الدِّين عن السَّياسة أمراً عظيماً بالغ الأهمية في اختلال دعائم الحكم، وفسادا وعبثاً في نظام حركة الحياة، وتهدف إلى إضعاف قداسة الإسلام وقيمه في نفوس معتنقيه في شتى أصقاع العالم لاسيما في البلدان الإسلامية، حيث يتخلَّل هذا الأمر بلورة فقه شريعة الدّولة الإسلاميَّة بالحكم الغربي صبغةً ومنهجاً، والذي يضمن تعاسة جميع الأنظمة التَّابعة له، وذلك بفقدانه معيار التَّوازن الذي يقاس عليه صلاحية الأنظمة، فالإسلام شرع للنَّاس ما يكفل حقوقهم ويحفظ مقوّمات حياتهم المادية والروحية باعتبار أنَّ أحكامه ربَّانية المصدر انتهجها الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين ليضمن لهم الحياة الطَّيبة والتي يسودها العدل والحق والإحسان.

المبحث السادس

موقف الشيخ الشعراوي من حرب الخليج

لم يسلم الخليج العربي من المحن والمصائب جراء ما طرأ عليه من المكائد العدائية والأزمات السياسية وتدهور في الاقتصاد، وتزايد المشاكل الأمنية في الطبقات الاجتماعية، وفقدان معطيات السلام بين الدول المجاورة... ما أدى ذلك إلى تفاقم الأوضاع الأمنية والسياسية بين العراق والكويت، ونتجت عنها حالة من التأزم والاشمئزاز السياسي على صعيد العلاقات الخارجية بين الدول المجاورة والشقيقة التي تجمعها العروبة ويحكمها الإسلام .

قبل الوقوف على بيان موقف الشيخ الشعراوي من هذه الحرب نرى أنه –رحمه الله تعالى- وضع أسئلة في ذهن القارئ لأحداث الغزو وأجاب عنها بكل موضوعية وصدق من منطلق القيم الإسلامية؛ الإسلام يدعو الإنسان إلى التراحم والعفو والتسامح والصلاح والإصلاح والإيثار لا الأثرة، ونصرة الضعيف ومقاومة الظالم، كما ينهى عن البغي والعدوان والفساد والإفساد.

فهل اغتصاب الكويت أمر يقرّه الإسلام؟ هل ترويع الآمنين من تعاليم الإسلام؟ هل سلب الأموال واغتصاب الحقوق من الدين في شيء؟ هل هتك الأعراض واغتصاب العفيفات انتصار للإسلام؟ هل الغدر من شيم آل البيت؟ هل قتل الأطفال والنساء والشيوخ من روح الإسلام؟﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾ (سورة الشعراء الآية227)، (الجريد، رحلة بحث عن الحقيقة في الوثائق وصفحات التاريخ، 2018).

نلاحظ من خلال ما سبق من تساؤلات الشيخ الشعراوي التي بيّن فيها أنّ قيم الإسلام وأعمال رسول الله ﷺ تتنافى مع ما فعله نظام صدام حسين في الكويت. فقد أحسن أن الشيخ الشعراوي الحديث عن الجرائم التي أحدثها هذا الغزو الغاشم، حيث قال: "أن كل ما أقترف من جرائم وآثام على أرض الكويت المسلمة المسالمة يتنافى مع روح الإسلام ويتعارض تعارضاً تاماً مع تعاليمه السمحة، فقتل الأبرياء واغتصاب الحرائر وتدمير البيئة وإبادة الكائنات الحية التي سخرها الله للإنسانية من الأعمال البشعة التي لا يقرها عرف أو ضمير، وهي فساد وإفساد في الأرض من فعل شرذمة تلفعت بعباءة الإسلام فأساءت إلى الإسلام وإلى المسلمين، ولن تنسى الإنسانية بسهولة رؤيتها لآلاف الطيور المائية وهي تموت اختناقا بالزيت الأسود، متطلعة إلى السماء وكأنها تتساءل في صمت وحيرة: ماذا يجري يا الله؟ قال الله تعالى **(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)** (سورة الروم، الآية 41)

فقد رأى الشيخ الشعراوي أنّ هذا الغزو أَحْدَثَ مأساة إنسانية بشعة لخلق الله الذي لم يراع فيها هذا الجيش أي رحمة في هذا الخلق (الجريد، رحلة بحث عن الحقيقة في الوثائق وصفحات التاريخ، 2018).

وفي الوقت نفسه نجد الشيخ الشعراوي يبرئ الجيش العراقي من الذنب؟؟؟، ويجيب الذين يتساءلون عن ذنب الجيش العراقي المسلم وهو المنصاع قهراً تحت التهديد بالقتل والذين يرون أنّ هذا الجيش ليس له ذنب فيما عمل من دمار للكويت فيقول الشيخ الشعراوي:" قد يقول قائل: ما ذنب الجيش العراقي المسلم وهو المنصاع قهراً تحت التهديد بالقتل؟ هذا تساؤل مردود فكما خرج هذا الجيش شاهراً سلاحه معرضاً نفسه للموت في سبيل باطل أليس من باب أولى أن يعاود الخروج الآن في سبيل حق: وهو القضاء على الحاكم الظالم وشرذمته فيكون له نبل القصد وشرف السعي؟ (الجريد، رحلة بحث عن الحقيقة في الوثائق وصفحات التاريخ، 2018)

ويرجع الشيخ الشعراوي أسباب النزاع هنا إلى غياب منهج الإسلام، فيقول: "غياب الإسلام هو الذي أشعل تلك الثورات ويجب أن نعرف أولا أن المعركة بين حق وحق لا توجد، فالمعركة دائما بين حق وباطل، وهذه لا تطول، ولكن الذي يطول هو المعركة بين باطل وباطل، لأن أحداً منهما ليس جديراً بأن ينصره الله" (الشعراوي م.، 1991) .

كما يقول أيضا: "من الحقائق المؤكدة والواقع الملموس أنه قد حيل بين الإسلام وبين مجتمعه فلم يتفاعل كلاهما مع الآخر، وظل الإسلام معطلاً عن أداء رسالته، وبالتالي ظلت المجتمعات الإسلامية التي يظلها بتعاليمه محرومة من هديه وعطاياه وليس ثمة علاقة بين هذه المجتمعات وبين الإسلام الآن سوي التمسك بالإيمان بوحدانية الله ورسالة نبيه تاركة تعاليمه وهديه دون استفادة لفرصة أفضل" (الجريد، رحلة بحث عن الحقيقة في الوثائق وصفحات التاريخ، 2018) .

وأضاف قائلا: "للأسف كثير من الساسة الإسلاميين هم الذين عملوا على الحيلولة بين الإسلام وتفاعله داخل مجتمعاتهم الإسلامية - ربما خوفاً من صحوة إسلامية تعرضهم للمساءلة أو تضعهم تحت مجهر لا يرغبونه، والذي يعود بأزمة الخليج إلى أسبابها الحقيقية يجد أنها ثمرة ونتيجة لتعطيل الإسلام عن أداء دوره في بلد يقال أنه مسلم هو العراق" (الجريد، رحلة بحث عن الحقيقة في الوثائق وصفحات التاريخ، 2018).

ولما ارتضى الله -سبحانه وتعالى- لعباده الإسلام فإنه وضع لهم منهجا صحيحا وسليما كفيلا بقيادة حياتهم وإخراجهم من الظلمات والجور إلى رحاب رحمته على كافة الأصعدة . فبناءً على ذلك نجد أن "الإسلام عندما يحدد المحظورات وينهى عنها لا يبغي من وراء هذا إلا صالح الإنسانية وخيرها، فهو ينهى عن القتل حفاظا على النفس، ويحرم الرِّدة حفاظاً على الدين، ويحرم الخمر محافظة على العقل وينهى عن السرقة حفاظا على المال، وعن الزنا حفاظا عن العرض. أليس في المحافظة على هذا كله تحصين للإنسانية من السقوط والانهيار؟. ماذا حدث عندما تمردت الإنسانية على قوانين الله واستبدلتها بقوانين وضعية، ظنًّا منها أنّ في هذا خيرها ؟ لقد اكتفت بالحبس –خلافا لحد الله- عقابا للزاني، فماذا جنت غير شيوع الفاحشة بين الناس وانتشار الفسق والفجور وهوان الأعراض وكثرة الأمراض واختلاط الأنساب؟ "(الشعراوي م.، 1991) .

وبالنظر إلى الأفعال التي قام بها صدام حسين في غزو الكويت تعتبر من انتهاك حرمة الأمة المسلمة على حد رأي الشيخ، حيث يقول: "ما قام به صدام حسين عندما احتل الكويت وهدّد أمنها وانتهك حرماتها شيء مؤسف حقاً ولكنه يدل على صحة قضية الإسلام التي غابت عن هذه الأمة ولابد أن ينشأ عن هذا الغياب مثل هذه الأزمات . فلعلّ هذا الحديث يوقظنا وينبّهنا من غفلتنا. الذي حدث فيه ادعاءات كثيرة.. والحق أن بعض المفكرين يتهيبون الحديث في هذا الموضوع. لأنّ صاحب الرأي الحق قد يغضب واحداً من المتنازعين فيصبح عدوا له. والدول تربطها روابط ببعضها البعض فوق هذه المسائل، فقد يوجد خلاف بين دولتين ثم تقضي الظروف بأن يتفقا، وحين يتفق الطرفان لا يبقى عدو إلا صاحب الرأي الحر" (الشعراوي م.، 1991) .

وأضاف الشيخ الشعراوي: "إن الذي يجب أن ننتبه إليه أن الإسلام مردود إليه قهرنا عنا؛ لأنّ كل واحد مما يدعى باطلا يتمسح في الإسلام، وحسبك من شرف الحق أن يدعيه المبطل. الأمر الذي حدث الأسف فيه ليس في أنه حدث ولكن لمواقفنا من الذي حدث. لأن الله تعالى حينما قال: ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ (سورة الحجرات، الآية 09). أجاز أن يختلف المؤمن مع المؤمن وأنه قدر العواطف البشرية وقت الظروف الخاصة فلم يشأ أن يكتب. ممكن نختلف ولكن إذا اختلف الاثنان لم ينزع الله عنهم لفظ الإيمان، ولكن المطلوب أنْ توجد طائفة ثالثة. هذه الطائفة هي التي يجب أن يكون عندها العلاج" (الشعراوي م.، 1991) .

فقد ردّ الشيخ الشعراوي هنا القضية إلى منطق الشرع والنص القرآني الصريح، وجسَّد الخلاف الحاصل بين كل من الكويت والعراق على أنه خلاف بين مؤمنين يتوجب فيه وجود طرف ثالث يقوم بعملية الإصلاح وإخماد نار الفتنة بينهما حتى يستبين الحق لهما.

وقد جسّد هذه المواقف، بإرسال برقية إلى الرئيس العراقي صدام حسين بمناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامي الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة يطلب فيها التنازل عن حقوق غيره من مسلمي الكويت، جاء فيها ما يلي: "الأخ صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فلا أزال أطمع منك في خير وكما تنازلت عن حقك في إيران أدعو الله أن تتسامى وتتنازل عن غير حقك في الكويت. وأنا لا أرد عليك نسبتك إلى البيت النبوي، فالمؤمنون مأمونون على أنسابهم، ولكن الأخيار من سلالة الأطهار يصعدون الخير ولا يصعدون الشر، فأخوة يوسف بدأوها بقولهم (اقتلوا يوسف) ثم انتهوا إلى (وألقوه في غيابة الجب) وتمنوا مع ذلك التخفيف بأن ينجيه أحد السيارة، وبذلك تدللون لمن يشك في ذلك صدق نسبكم. والله أسأل أن يجنب بموقفك العالم كله شر ما يحتمل وما لا يحتمل" (الشعراوي م.، 1991).

ومن خلال ما سبق يتّضح لنا موقف الشعراوي ورأيه في حرب الخليج أنه أرجع أساس هذه القضية إلى غياب الإسلام وتحكيم منهجه في إدارة السلطة بين الحاكم والمحكوم، بالإضافة إلى تعطيل

دوره في تفعيل حركة الحياة لصالح فئة من الناس دون اعتبار لوجود الآخر، ما أدى ذلك كله إلى تأزم الحياة الاجتماعية لدى الأفراد بين البلدين.

الخاتمة:

وخلاصة القول في بيان أبرز الآراء والمواقف السياسية للشيخ الشعراوي، نسجّل النَّتائج التالية:

1- إنَّ الشَّيخ الدَّاعية محمد متولي الشَّعراوي لم يعش لنفسه بل عاش لله، وللإسلام، ولغيره من البشر، فقد وهب وقته لأمته؛ إمامة وتدريساً وتأليفاً وإفتاءً وإصلاحاً، وأيضا ثورية وجهاداً، وذلك لتأمين الأمَّة من خطر أعداء الإسلام ومن الصَّهيونية وأعوانهما .

2- لقد تضمَّنت خواطر الشيخ الشعراوي أنماطا عديدة وطرقا متنوّعة في حلّ بعض المشاكل الاجتماعيّة، فاعتمد فيها على الإصلاح الاجتماعي، وذلك من خلال براعة فكره، ورشد عقله في تفسير الآيات التي تعالج ذلك.

3- انشغل الشيخ الشعراوي بالحركة الوطنية، فكان علَماً بارزا في التصدي للاحتلال البريطاني، وعُرف انخراطه فيها منذ التحاقه بكلية اللغة العربية سنة 1937م، وانفعل مثل بقية الطلاب بما يجرى وقتئذ من الأحداث والاضطرابات الأمنية في مصر، فكان يتوجه وزملاؤه إلى ساحات الأزهر ، ويلقي بالخطب، ما عرَّضه للاعتقال أكثر من مرة، وكان وقتها رئيسا لاتحاد الطلبة سنة 1934م .

4- لقد أدّت شخصية الشَّيخ محمد متولي الشَّعراوي دورا محورياً في الحياة العامة المصرية؛ سياسياً من حيث توجيه الرّؤساء، وقياديًا من حيث مقارعة الفساد وأهله لمّا كان على رأس الوزارة، ناهيك عن تعبئة المصريين والعرب المسلمين لنصرة قضاياهم العادلة.

5- استمد الشيخ الشعراوي قوته المادية والروحية والفكرية في آرائه السياسية ومواقفه فيها، من وحي القلم - القرآن الكريم- واقتداءً بسنّة النَّبي الأكرم ﷺ.

6- كان لبيئة الشَّيخ محمد متولي الشَّعراوي تأثير كبير في مجريات حياته وتشكيل شخصيته، فبفضل الوسط العلمي الذي كانت تزخر به مصر واحتكاكه بالمشايخ والعلماء في الموالد، صنعت منه طالبا للعلم، شغوفا لبلوغ أعلى الدرجات.

7- إن مسألة انفصال الدين عن السياسة ما هي إلا إضعاف لقداسة الإسلام في نفوس المسلمين، ومحو قيمه الروحية، والاعتماد على معطيات الحياة المادية دون اعتبار للحياة الروحية.

8- ترجع أسباب نكسة 1967م إلى تذبذب سياسة جمال عبد الناصر في الحكم، وكذا إلى عدم الالتزام بقواعد الحكمة والتبصر في الفقه الثوري. وقد قدّمت هذه النكسة درسا في مراجعة الحسابات والتقيد بضوابط الشرع أثناء الخوض في المعارك.

9- تدعو معاهدة كامب ديفيد إلى تفشي السلام وتفعيل قيمه بين مصر وإسرائيل حفاظا على المصالح المشتركة بينهما، وتأمينا لمكاسب البلدين.

10- كثرة الأسفار والحركة والتّجوال والحل والتّرحال كوّنت الكثير في شخصية الشَّيخ محمد متولي الشَّعراوي وأكسبته ثقافة واسعة في فهم أنماط البشر في مختلف القارات، والتعامل معها من خلال

فهم مطالبهم وأولياتهم في حياتهم اليومية، وهذا ما أهله لأداء دور المعلم الناصح المرشد الأمين في الحركة السياسية.

11- طبّقت شخصية الشَّيخ محمد متولي الشَّعراوي فهماً للنصوص القرآنية والأحاديث النَّبوية تطبيقاً عمليًّا من خلال أدائها للجهاديْن؛ الأكبر لكبح جماح النَّفس ونزواتها وملذاتها، والأصغر ضد المحتل الانجليزي وكذا الصهيوني لمصر.

12- الإسلام عندما يحدد المحظورات وينهى عنها لا يبغي من وراء هذا إلا صالح الإنسانية وخيرها لذا دعا الشيخ الشعراوي في إنهاء المشاكل السياسية وتأمين الأوضاع الاجتماعية إلى تفعيل قوانين الإسلام بين الناس.

13- أرجع الشعراوي حرب الخليج وأحداثها بين العراق والكويت إلى غياب الإسلام وتحكيم منهجه في إدارة السلطة بين الحاكم والمحكوم، بالإضافة إلى تعطيل دوره في تفعيل حركة الحياة لصالح فئة من الناس دون اعتبار لوجود الآخر، ما أدى ذلك كله إلى تأزم الحياة الاجتماعية لدى الأفراد في دولة الخليج.

مراجع المقال:

1- أحمد فرحات فادي. (دون تاريخ). *حدث في مثل هذا اليوم*. بيروت: دار الفكر.

2- أحمد معمور العسيري. (1996). موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السَّلام إلى عصرنا الحاضر 1417هـ/96-97م. الدمام: مكتبة الملك فهد الوطنية.

3- إسماعيل محمد علي. (2001). الضمانات الدولية لتنفيذ معاهدات السلام العربية – الإسرائيلية (المجلد الأولى). القاهرة: مكتبة جزيرة الورد.

4- الشعراوي محمد متولي. (دون تاريخ). تفسير الشعراوي. مصر: دار أخبار اليوم.

5- الفرا محمد علي. (2001). السلام الخادع من مؤتمر مدريد إلى انتفاضة الاقصى 1991-2000م. عمان: دار مجدلوي للنشر والتوزيع.

6- أنيس منصور. (دون تاريخ). في انتظار المعجزة . القاهرة: دار نهضة مصر للنشر.

7- خليل علي حيدر. (18 نوفمبر، 2011). اعترافات الشيخ الشعراوي. جريدة الأيام(8257).

8- دار أمواج. (2012). إمام الدعاة محمد متولي الشعراوي . عمان: دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع.

9- ذاكرة الأزهر الشريف. (دون تاريخ). الشيخ الشعراوي. تاريخ الاسترداد 2019 11، 17، من ذاكرة الأزهر الشريف: http://alazharmemory.eg

10-رجب البنا. (05 12، 2010). الشيخ الشعراوي والسياسة. تاريخ الاسترداد 28 02، 2020، من مصرس: https://www.masress.com

11- سعيد أبو العينين. (دون تاريخ). أنا من سلالة أهل البيت. مصر: مطابع أخبار اليوم.

12- سعيد سناء. (1997). الشعراوي بين السياسة والدين . دون مكان نشر: دار الفتح للإعلام العربي.

13-سلامة رشا. (18 02، 2018). الشعراوي حين سجد لله شكرا بعد نكسة1967! تاريخ الاسترداد 30 10، 2019، من موقع حفريات: https://www.hafryat.com/en/node/12547

14- صالح الدين الفريق الحديدي. (دون تاريخ). شاهد على حرب 67. القاهرة: دار الشروق.

15- عايد الجريد. (2018). رحلة بحث عن الحقيقة في الوثائق وصفحات التاريخ. جريد الشاهد الأسبوعية(556).

16- عبد الله العقيل. (2008). من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة . دون مكان: دار البشير.

17- عبد الله العلي حامد. (1422). البيان لخطر العلمانية على الدِّين الأخلاق وشريعة القرآن. الكويت: دون دار نشر.

18- قناة abdalla Mohamed. (26 12، 2010). الحلقة الأولى من برنامج من الألف إلى الياء-الشعراوي. تاريخ الاسترداد 30 03، 2019، من قناة abdalla Mohamed: Abdalla Mohamed: https://www.youtube.com/watch?v=lQOeNP43pcY

19- محمد عبده يماني. (بلا تاريخ). الشعراوي..مواقف ومعطيات. تاريخ الاسترداد 6 11، 2019، من موقع محمد عبده يماني: http://dryamani.com/ar/News.aspx?NID=153#.XcKdyvlTLIU

20- محمد متولي الشعراوي. (1422). تفسير الشعراوي. مصر: دار أخبار اليوم.

21- محمد متولي الشعراوي. (1991). آراء الشيخ الشعراوي في حرب الخليج . قبرص: دار الكتاب العالمي.

22- محمد متولي الشعراوي. (19 أكتوبر، 2012). رأي الشيخ الشعراوي في فصل الدين عن السياسة. تاريخ الاسترداد 17 نوفمبر، 2019، من موقع قناة : channel Deedatموقع قناة : channel Deedat: https://www.youtube.com/watch?v=Fp43jpOzUno

23- حامد قوسي وآخرون. (2012). الإسلاميون وتحديات الحكم في أعقاب الثورات العربية . عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط.

24- وحيد سارة. (15 أبريل، 2019). الشعراوي..الرجل الذي طالبت إسرائيل إسكاته. تاريخ الاسترداد 6 نوفمبر، 2019، من موقع بوابة الفجر: https://www.elfagr.com/3554115